IUGJHR
Vol 28, No 3, 2020, pp 194 - 215

ISSN 2410-3179

مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات الانسانية

تاريخ الإرسال (2019-02-25)، تاريخ قبول النشر (2019-05-20)

من وسائل الترابط النصي / دراسة لسانية نصية في كتاب سنوات الصبر والرضا لخالد الكركي

اسم الباحث الأول: أ.د. عيسى عودة موسى برهومة

اسم الباحث الثاني: د. عبد العزيز موسى درويش علي

اسم الجامعة والبلد: قسم اللغة العربية وآدابها- كلية الآداب -الجامعة الهاشمية- الأردن

اسم الجامعة والبلد: قسم اللغة العربية - كلية الأميرة عالية - جامعة البلقاء التطبيقية - الأردن

البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: ebarhouma@hotmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مواطن الترابط النَّصِّيّ في كتاب سنوات الصبر والرضا للدكتور خالد الكركي، وذلك في ضوء لسانيات النص؛ قَصْدَ الوقوف عند بنية النّصّ العميقة، وأنساقه المُضمرة، وبلاغته النَّصِّيّة، والوسائل التي تمنحه مِيْزة الترابط النَّصِّيّ، وتناولت الدراسة: الإحالة، والربط بالأدوات، ومبدأ التغريض، والتناص، والعلاقات الدلالية (السببية، التفصيل)، وتوصلت الدراسة إلى أن هذه العوامل متضافرة منحت النص ترابطًا، إذ كوّنت الإحالة جسرًا ربط أجزاء النَّص، ومنحت أدوات الربط النصّ استمرارية، وترابطًا، من خلال جمع وحده الدلالية، أما العنوان فقد مثّل ترابطه مع النص شكلاً من الترابط النَّصِّيّ، في حين أفاد النص من التناص بما أقامه من علاقات متشابكة مع نصوص أخرى عضّدت فكرته، وأغنته على المستويين المضمونيّ والفنيّ، وأكسبت علاقتا السّببية والتّفصيل النصَّ مقبولية دلاليّة، ومنطقيَّة في البناء، وتلاحمًا في السَّبك، من خلال ما قدمته للنص من استيفاء للمعنى، وتوكيد للرؤى والأفكار.

كلمات مفتاحية: لسانيات النص، الترابط النَّصِّيّ، الترابط في السِّيَر الذاتية، خالد الكركي.

Methods of Textual Integrity: A linguistic Textual Study of *Years of Patience and Satisfaction* by Khalid Al Karaki

Abstract:

This paper is a study of textual integrity of Kalid Al Karaki's *Years of Patience and Satisfaction*. The researcher studies the deep structure of the text, its implied features, figurative textually, and linguistic aspects which endow the text with integrity. The paper focuses on Al Karaki's use of conjunctions, coordinators, relative pronouns and demonstratives, intertextuality, causative and interpretative relations, as well as the relationship between the title of the book and its major themes. The researcher concludes that all these linguistic and literary tools have created the integrity of the text, its continuity and comprehensiveness. Besides, the text is distinguished by its intertextuality as it creates bridges between its content and other texts. Such feature has enriched the text both on the thematic and aesthetic levels. In addition, causative and interpretative features have created a more acceptable and significantly meaningful text; they have endowed the text with logical structural bonds which have highlighted the meaning and ideas of the text.

Keywords: Khalid Al Karaki ; linguistic Textual; deep structure of the text; biographical Integrity.

مُقدِّمة:

تتناول هذه الدراسة كتاب سنوات الصّبر والرضا للكاتب الأردنيّ خالد الكركيّ[1]، بهدف الوقوف على مستوى الترابط النَّصّيّ فيه؛ وتقف الدراسة عند عدد من أهمّ عناصر الترابط النَّصّيّ ألا وهي الإحالة، والربط بالأدوات، وعلاقتا السببية والتفصيل، ومبدأ التغريض، والتناص، ساعية للكشف عن حجم حضورها، ووظيفتها، وأشكالها في مادَّة الدراسة، إذ وجدنا أنَّ حضورها كان لافتًا يسترعي الانتباه، ويتطلَّب البحث، ويستحقّ العناية، وتتناول الدّراسة كتاب سنوات الصَّبْر والرّضا للكاتب الكركيُّ بالبحث والدّرس، الذي يمثّل سيرة ذاتيَّة موجزة كان الكركيّ قد نشرها عام 1999م، مُدِيْرًا رَحى الحديث حول أهمّ النقاط المفصليّة في حياته وتهدف الدراسة: الرَّغبةُ في فحص دقة لسانيات النّصّ، ومعايير النَّصّيّة، في الحكم على مستوى ترابط النصوص وتماسُكِها، ومحاولة التعرف على تقنية التَّناص _تقنياته وأشكاله وأهدافه_ بوصفه أحد أهمّ معايير النَّصّيّة، وعناصر الترابط النَّصّيّ، ومحاولة الكشف عن دور الإحالة في ترابط النص، ومدى تأثيرِها في تماسكه، والكشف عن الترابط النَّصّيّ في نصوص السيرة الذاتية خصوصًا مع قلة الدّراسات النَّصّيّة التطبيقيَّة في مجال السّيرة الذّاتية، وتعتمد على منهج التَّحليل النَّصّيّ الإحصائيّ، بهدف الوصول إلى غايتها، وتسلط الدراسة الضّوء على وسائل الترابط النَّصّيّ في النص ممثلة بـ:

1- الإحالة والربط بالأدوات أنموذجانِ للاتِّساق النحويّ.

2- الترابط المفهوميّ في سيمياء العنوان الرئيس وعناوين الفصول شكلًا من أشكال الاتِّساق المعجميّ.

3- علاقة السببيّة وعلاقة التفصيل مثالين على وسائل الانسجام.

4- التناص معيارًا من معايير النَّصّيّة السبعة.

وقد جاءت الدراسة في: تمهيد وثلاثة مباحث على النحو الآتي:

- التمهيد: تناولنا فيه لسانيات النص مدخلًا وتعريفًا، وأوضحنا فيه تعريف لسانيات النص، وأهميتها، ووظيفتها، وأصولها في الفكر اللغوي العربيّ.
- الأول: "الاتّساق النحويّ في كتاب سنوات الصبر والرضا":

أ- "الإحالة في كتاب سنوات الصبر والرضا" قدمت فيه إضاءةً حول الإحالة، مفهومها، وأنواعها، ودورها في تحقيق الترابط النَّصّيّ، ومن ثمّ أردفتُ ذلك بمبحثٍ تطبيقي للإحالة في النص المدروس.

ب- "الربط بالأدوات في كتاب سنوات الصبر والرضا" عرضنا في هذا الجزء أدوات الربط الإضافية والاستدراكية والشرطية والزمنية التي استخدمها الكاتب في نصه، وحاولنا أن نقف عند دورها في تحقيق الترابط النَّصّيّ.

- الثاني: "الترابط المفهوميّ في سيمياء العنوان" ألمحنا فيه إلى دور ترابط العنوان بالنص بالترابط النَّصّيّ للنص.
- الثالث: "التناص في كتاب سنوات الصبر والرضا" وعرّجنا فيه على أبعاد تقنية التناص في كتاب سنوات الصبر والرضا، ودور التناص في تحقيق الترابط النَّصّيّ في النص المدروس.
- الرابع: "العلاقات الدلالية في كتاب سنوات الصبر والرضا" تناولنا في المطلب الأول منه: علاقة السببية ودورها في الترابط النَّصّيّ، وأما في المطلب الثاني منه: فقد درسنا علاقة التفصيل ودورها في الترابط النَّصّيّ.

---

[1] هو خالد عبد العزيز الكركيّ، ولد عام 1946م في مدينة الكرك، عَمِلَ معلِّمًا في وزارة التربية والتعليم، ثم أستاذًا للأدب العربي في الجامعة الأردنية، ورئيسًا لرابطة الكُتَّاب الأردنيين، ووزيرًا للثقافة والإعلام، ورئيسًا للدّيوان الملكيّ، ونائبًا لدولة رئيس الوزراء، ومن ثمَّ رئيسًا للجامعة الأردنيّة، ومجمع اللغة العربيَّة الأُرْدُنيّ في عمَّان. من مؤلفاته الإبداعيّة: سنوات الصبر والرّضا (مقتطفات من السيرة الذاتية)، 1999م. وبغداد ... لا غالب إلّا الله (مجموعة مقالات)، 2003م . و رجع الصّهيل (شِعْر)، 2007م .

للاستزادة ينظر: الزعبي، باسم وجعفر العقيلي و خالد الجبر، معجم الأدباء الأردنيين في العصر الحديث، ط1، منشورات وزارة الثقافة العربية، عمَّان، 2014م ص88.

- الخاتمة: وقد أدرنا فيها الحديث عن أبرز النتائج التي توصلت إليها الدراسة.

مصطلحات الدراسة الرئيسة:

1. الترابط النَّصِّيّ[2]: هو تلك الأدوات والعلاقات الشكليَّة والدّلاليَّة التي تسهم في الرَّبْط بين وحدات النَّصّ المختلفة، وينبغي أن نفرق هنا بين الرَّبْط الذي يمكن أن يتحقق من خلال أدوات الرَّبْط النَّحْويَّة (الروابط)، والتّماسك الذي يتحقَّق من خلال وسائل دلاليَّة في المقام الأول. ويمكن تتبع إمكانات الأول على المستوى السّطحي للنصّ، إلا أنَّ الثاني يتمثَّل في بِنْيَة عميقة على المستوى العميق للنصّ.
2. الإحالة: "علاقة معنويّة بين ألفاظ أو أسماء معينة وما تشير إليه من مسميات أو أشياء _داخل النص أو خارجه_ يدلّ عليها السياق أو المقام، عن طريق ألفاظ أو أدوات محددة (كالضمير واسم الإشارة واسم الموصول...) وتشير إلى مواقف سابقة أو لاحقة في النص"[3].
3. الإحالة المقاميّة: وتسمّى بالإحالة الخارجيّة والتي تحيل إلى عنصر غير مذكور صُراحًا في الكلام، وإنما يهتدى إليه من خلال السّياق .
4. الإحالة القَبْليّة: وتسمى الإحالة إلى سابق تم ذكْرُه آنفًا في الكلام .
5. الإحالة البَعْديّة: "وهي أن يَرِد المحال إليه الذي يُسمى مفسِّرًا متأخرًا عن الضمير... وهذا النوع من الإحالة يُسمى عند علماء النص بالمرجعيَّة اللاحقة"[4] .
6. التغريض : هو البحث في العلاقة التي تربط موضوع النص بعنوانه[5].
7. التَّناص: "هو تَشْكيل من تركيبة فسيفساء من الاستشهادات، وكلُّ نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى (...) أي أن النص يُنْشِئُ علاقة مع الماضي في سياقاته الثقافية والتاريخية والاجتماعية... إلخ، لكنَّها علاقة مُحمَّلة بدلالات معاصرة، ومستحضرة لصور تعبر الواقع"[6].
8. علاقة التفصيل: "إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره" [7].
9. علاقة السببيّة: "علاقة تربط بين مفهومين أو حدثين، أحدهما ناتج عن الآخر"[8].

- **الدراسات السابقة:**

تناولت دراسات كثيرة مسألة التَّرابط النَّصِّيّ منها دراسة دنيا بن قسمي الموسومة بـ "الإحالة ودورها في التماسك النَّصِّيّ رواية في "سيبل التاج" للمنفلوطي أنموذجًا"، رسالة ماجستير(مخطوطة)، جامعة مؤتة، المملكة الأردنية الهاشمية، 2008م. وتختلف دراستنا عن دراسة "بن قسمي"، فقد تناولت الأخيرة الإحالةَ في الرّواية، وتتناولُ دراستنا الإحالةَ في السّيرة الذاتيّة، وإن

---

[2] أحمد محمد عبد الراضي، نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، مصر، ط1، 2008م، ص 13.

[3] نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النَّص القُرآني دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2011م، المجلد 13، العدد 1 (B)، ص 1064.

[4] نوال الثيان، الإحالة الضميريّة في اللغة العربيّة مقاربة تطبيقيّة في ضَوْءِ نحو النّص(مقالات خالد المالك في في الحوار والاختلاف إنموذجًا)، بحث مُحكّم نُشر في كتاب دارسات في علم اللغة النَّصِّيّ، مقاربة تطبيقية على مدونة صحيفة الجزيرة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2012م. ص243.

[5] محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ط2، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، 2014م، ص79.

[6] مصطفى وهابي، مفهوم التناص عند جوليا كريستيفا، مجلة علامات في النقد، (ت.س)، ص382.

[7] جميل عبد المجيد، بلاغة النص "مدخل نظري ودراسة تطبيقية"، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999م، ص18.

[8] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة و اللسانيات النَّصِّيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م، ص 142.

كانت كلتاهما تندرجان ضمن ما يُسمّى بالقصّة الطويلة، إلّا أن ضمائر السّرد وكذا أنماط الحوار تختلف في إحداهما عن الأخرى. أما أبرز الدراسات التي تناولت إنتاج الكاتب خالد الكركي فهي دراسة عبد الكريم أخو ارشيدة الموسومة بـ" المقالة الأدبية في كتابات خالد الكركي"، رسالة ماجستير، جامعة آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، 2007م. وتختلف دراستنا مع هذه الدراسة، من أمور عدّة، مثل: المنهج والهدف والأسلوب ومحاور المعالجة.

- **تمهيد:**

وصل الدّرس اللسانيُّ والنَّصّيّ في الستينيات من القرن المُنْصَرم إلى الذّروة من حيثُ التطور والتّقدم والاتّساع، ولعلّ ثمار هذا التقدم آتتْ أُكلها بولادة فَرْع لسانيّ جديد يُسمى بـ ["لسانيات النَّصّ" أو "نحو النّصّ" أو "نظرية النّصّ"، إذ إنّ موضوعه الأساسيّ هو: النصّ بوصفه أعلى وحدة لُغويَّة وأهمّها في الدراسات النَّصّيّة]، ولعلّ هذا العِلْم الجديد قد منح أهميته الجُلَّى من خلال دراسته للنصوص الفنيّة بطرق مغايرة لما تواطأ عليه الباحثون والدّارسون، إذ صبّ اهتمامه على تناول النصّ بوصفه كتلة واحدة، بخلاف نَحْو الجملة، أو نَحْو النّص، الذي كان قاصرًا عن ذلك، ومقتصرًا على دراسة بِنية الجملة، مُنْفردة ومبتورة عن سياقها النَّصّيّ. ومن بالجدير بالذّكر أنّه يكاد الاتفاق ينعقد بين العلماء والباحثين على أنّ صاحب الكأس المعلّى فيه العالم زيلغ سابيتي هاريس Zelling Sabbetai Harris الذي دعا إلى ضرورة تطوير الدرس اللسانيّ، وتوسيع دائرته، وكذا مجالات دراسته، بحيث تتعدى الجملة لتشمل النّصّ بوصفه وحدة واحدة[9].

وبعد، فلقد تعددت تعريفات هذا المنهج اللغويّ الجديد من مدرسة لسانية إلى أخرى، لعلّ أفضلها وأشملها هو الذي أورَدَهُ د.صبحي الفقيّ له، إذ يقول: "هو فرع من فروع علم اللغة الذي يهتم بدراسة النّصّ باعتباره الوحدة اللغوية الكبرى، وذلك بدراسة جوانب عديدة أهمها: الترابط أو التماسك ووسائله، وأنواع الإحالة أو المرجعيّة وأنواعها، والسياق النَّصّيّ ودور المشاركين في النّص"[10].

والحقيقةُ أنَّ لسانيات النَّصّ لم تَقْنَعْ بما تقدّمه لسانيات الجملة في سبيل دراستها للنّصوص، إذ حاولت أن تضيف ما هو جديد على مستوى دراسة النص، وتحليله، وسبره، وكشف بِناه، وبلاغته، وجماليته، وذلك من خلال تقديم منهج جديد، وشامل يدرُس البِنية العامَّة للنّصّ، على صعيد مستوياته جُلِّها "مفيدًا كذلك من نحو الجملة مبنى ومعنى، ومن الدراسات الأسلوبيّة، ومن المعارف السابقة، ولكنَّه أضاف إلى تلك المناهج ما يثبت نصيَّة النّصّ وبلاغة الخطاب، من غير أن يقتصر على المناهج التي كانت تجتزئ النص ثم تقف عند الأجزاء فقط"[11].

(1) "الاتّساق النحويّ في كتاب سنوات الصبر والرضا" :

أ- "الإحالة في كتاب سنوات الصبر والرضا" :

1- "مدخل إلى تعريف الإحالة ودورها في الترابط النَّصّيّ":

تدور أكثرُ معاني مادة (أحال) في المعاجم العربيَّة _التي هي أصل كلمة الإحالة_ حول معاني: الزّوال، والتغيير، والتبدّل، والعلاقة بين طرفين، والانتقال من حال إلى أُخرى. يقول ابن منظور في اللسان: ".. تحوَّل عن الشيء: زال عنه إلى غيره. أبو زيد: حالَ الرجل يَحُول مثل تَحَوَّل من موضع إلى موضع. الجوهري: حال إلى مكان آخر أَي تحوَّل. وحال الشيء نفسه يَحُول حَوْلًا بمعنيين:

[9] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي، ط2، الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1997م، ص17 .

[10] صبحي الفقي، علم اللغة النَّصّيّ بين النظرية والتطبيق، ط1، دار قباء، القاهرة، مصر، 2000م ، ج 1، ص 36.

[11] عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النص وتَحليل الخطاب نَحو قراءَة لسانية في البناء النَّصّيّ للقُرآن الكَريم، بحث مُقدَّم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القُرآنيّة، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2013م، ص11 (بِتصرُّف).

يكون تَغَيُّرًا، ويكون تَحَوُّلًا؛ وقال النابغة: ولا يَحُول عطاء اليوم دون غد أي لا يَحُول عطاء اليوم دون عطاء غد.. وفي الحديث: فاحْتالَتْهم الشياطين أي نَقَلَتْهم من حال إلى حال"[12].

وحقًّا أنّ هذا المعاني اللغوية تتقاطع وتتشابه مع معنى الإحالة في الاصطلاح، والذي يعني وجود علاقة بين لفظين، يُحيل أحدهما إلى الآخر، بوساطة ضمير أو اسم إشارة، أو اسم موصول، بصرف النظر عن ترتيبهما، إذ تعرِّف اللسانيات الحديثة الإحالة بأنّها: "علاقة معنويّة بين ألفاظ أو أسماء معيّنة وما تشير إليه من مسمّيات أو أشياء _داخل النص أو خارجه _ يدلّ عليها السياق أو المقام، عن طريق ألفاظ أو أدوات محددة (كالضمير واسم الإشارة واسم الموصول...) وتشير إلى مواقف سابقة أو لاحقة في النص"[13]. ولعلّ (سيمون ديك) في تعريفه للإحالة يشرع للباحثين سبُلًا جديدة في تلقي الظاهرة، إذ يقول: "الإحالة فعل تداوليّ تعاونيّ بين متكلّم ومخاطب في بِنية تواصلية"[14].

أمَّا بالنسبة إلى القدماء من النّحاة واللغويين العرب فقد عرفوا الإحالة، وعرَّفوها، وأدركوا كنهها _كما مرَّ معنا_ ولم يقفوا عند ذلك حسب، بل قسَّموها إلى قِسمين يقابلان التَّقْسيم الحديث لها، وهم بذلك لا يبتعدون في تعريفهم إيَّاها عن التعريف الحديث لها[15].

وتعدُّ الإحالة أحد أهمِّ عناصر التّرابط النَّصِّيّ إن لم تكن أهمَّها، إذ إنَّها ما تنفكُّ تسهم إسهامًا رئيسًا في رصف النّصوص، وتماسكها، وترابطها؛ ذلك أنّ جملة في العربيّة لا يمكن أن تُقيم أودها، وكذا أنْ تقوم بوظيفتها، ما لم تعتمد على الإحالة في لمّ شَعَثِ الكلام، وإحكام النصوص، كما أنها لتعدّ من حيث الانتشار في النصوص _على اختلاف اللغات وحتى اللهجات_ : "أكثر الظواهر اللغوية انتشارًا في النصوص، فلا تكاد تخلو منها جملة أو نصّ، وذلك لأنّ أدواتها تشّكل جسورًا للربط بين أجزاء النص، وتُقْدم على التحكم في الرسالة المبثوثة، مجبرة المتلقي على التنقل في فضاء النص"[16]. وتُسْهِمُ الإحالة في ترابط النُّصوص أيضًا من خلال استغناء المتكلّم بها عن كثير من الكلمات والجمل أحيانًا.

- شروطها: وأمَّا بالنسبة إلى شُروط صحَّة الإحالة فقد رأى الباحث أحمد عفيفي أنَّها تتمحور في شرطين أساسين هما: الأوّل، التطابق بين المحيل والمحال إليه من حيث اللفظ والمعنى إفرادًا وجمعًا، وتأنيثًا وتذكيرًا...إلخ. الثاني، وضوح الإحالة وعدم غموضها، ويكون ذلك الغموض بتعدُّد المُحال إليه وإمكانية أن تعود الإحالة إلى كلّ من هذا المتعدد[17].
- عناصرها: وعناصر الإحالة أربعة هي[18] :

---

[12] ينظر: جمال الدين ابن منظور، لسان العرب ، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، (د.س). مادة (ح ا ل) . وينظر أيضًا : الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ط8، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، 2005م، ص990. مادة (ح ا ل) .

[13] نائل محمد إسماعيل، الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النَّص القُرآني دراسة وصفية تحليلية، ص 1064.

[14] الثنيان، نوال: الإحالة الضميرية في اللغة العربية مقاربة تطبيقية في ضَوْءِ نحو النّص (مقالات خالد المالك في الحوار والاختلاف أنموذجًا)، ص205.

[15] إذ يقول الدمنهوريّ _وهو أحدُ الروّاد في هذا الباب_ : "الإحالة مصدر أحلته على كذا، و هي قسمان: خفية و جلية، كقوله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتابِ﴾ [النساء: 140]، إحالة على قوله: ﴿وَإِذا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آياتِنا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ، وَ إِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطانُ فَلا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام : 68]، وكقوله: ﴿وَآتَيْنا داوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: 163]. و الإحالة في الآية الأولى ظاهرة وفي الثانية خفية لما قيل إنّها إحالة على قوله: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105]، لتضمنه تفضيل محمَّد _صلَّى الله عليه و سلَّم_". ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1987م، ج1، ص55. نقلًا عن أحمد الدمنهوري، حلية اللب المصون على الجوهر المكنون، المغرب، 1994م، ص169.

[16] الزهرة توهامي، الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، رسالة ماجستير(مخطوطة)، المركز الجامعي أكلي محند اولحاج بالبويرة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2010م–2012م، ص24. (بتصرُّف)

[17] أحمد عفيفي، الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، بحث محكّم نشر في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، 2005م، ص529. (بتصرُّف)

1. المتكلّم أو الكاتب صانع النص، وبقصده المعنوي تتم الإحالة إلى ما أراد؛ إذ يشير علماء النص إلى أن الإحالة عملٌ إنساني.
2. اللفظ المحيل، وهذا العنصر الإحالي ينبغي أن يتجسد إما ظاهراً أو مقدراً، كالضمير أو الإشارة، وهو الذي سيحولنا ويغيرنا من اتّجاه خارج النص إلى داخله.
3. المحال إليه، وهو موجود إما خارج النص أو داخله من كلمات أو عبارات أو دلالات، وتفيد معرفة الإنسان بالنص وفهمه في الوصول إلى المحال إليه .
4. العلاقة بين اللّفظ المحيل والمحال إليه، والمفروض أن يكون التطابق مجسدًا بين اللّفظ المحيل والمحال إليه، بمعنى أن الإحالة تأتي عن طريق ألفاظ واجبة الصدق، بوصف المحال إليه شيئًا موجودًا في عالم الواقع والحقيق.

- أقسام الإحالة :

يقسِّم علماء النصّ الإحالة في النُّصوص إلى قسمين: الأوّل: وهو إحالة إلى مذكور سابق أو لاحق في النّصّ وتُسمّى إحالة نصيَّة أو داخليَّة. الثاني: وهو إحالة إلى محذوف _غير مذكور_ من النّصّ تُشير إليه سياقات الخطاب، ودلالاته وتسمى إحالة مقاميَّة أو سياقيَّة أو خارجيَّة. انظر الشكل التوضيحيّ:

الإحالة [19]

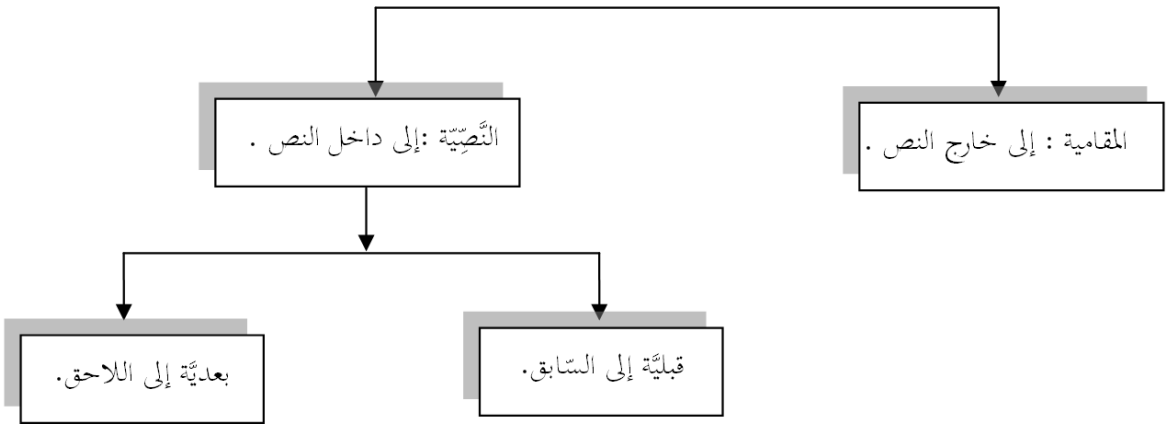

2- "الإحالة في كتاب الصبر والرّضا" :

(أولًا) : أنواع الإحالة في النص ودورها في الترابط النَّصِّيّ :

تبرز الإحالة في كتاب سنوات الصّبر والرّضا بوصفها ظاهرة مهمّة من أبرز ظواهر التّماسك النَّصِّيّ، إذ يعتمد عليها الكاتب في أغالب الأحايين؛ ليجمع أجزاء النص القاصي منها والداني في صعيد واحدٍ في ذهن المتلقي، ولتكون أجزاؤه نسجيًا محكمًا، ومترابطًا، ومفوَّفًا أحسن التوّفيف.

إذ إن جملةً واحدةً من النصوص أيًّا كانت لغتها، وأيًا كانت غايتها، لا يمكن لها أنْ تؤدي المهمة المنوطة بها دون الاستعانة بالإحالة على اختلاف أنواعها. ولقد حضرت الإحالة بأجزائها وأنواعها كافّة في نصّنا هذا وبطرق متباينة مختلفة، عمَّا هو شائع في

[18] المرجع السابق، ص529 وما بعدها .

[19] الخطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 1991م، ص17. (بتصرُّف)

النصوص الأخرى على الأقل في باب السيرة الذاتية، فكان ذلك مدعاة ألحَّت علينا للنُّهوض بدراسة تكشف حضورها، ومدى تأثيرها من ناحية تماسك النص في النص المدروس.

الإحالة المَقَامِيَّة (exospheric reference) :

وتُسمَّى هذه الإحالةُ عند علماء اللسانيات النَّصِّيّة: "الإحالة لغير مذكور"[20]، وقد ظهرت وبكثرة في هذا النّصّ، بخلاف المشهور الشائع، إذ تكون في أغلب النصوص هي الأقلّ حضورًا عند مقارنتها بالإحالة القبلية وكذا بالبعدية، ولعلّ انتشارها الكبير وغير المتوقَّع في هذا النص؛ جاء لاستخدام الكاتب نظامًا إحاليًّا خاصًّا، جعل فيه من نفسه وهو كاتب الأحداث وراويها وبطلها شخصًا آخر يتحدث إليه كاتب النّصّ، ففي قوله: "يوغل في ذاكرتك نبشًا هذا الصباح"[21] يحيل ضمير المخاطب الكاف إلى الكاتب، ومثله كلّ الضمائر الواردة في الأمثلة الآتية، التي يتطابق فيه المحال مع المحال إليه إذ إن كليهما مفرد: و"كنت تسعد بالاقتراب من ذكرياتها"[22] و"الذي يشدُّك الآن"[23] و"هل هو حُبّك لابن زريق"[24] و" ها أنت والحزن وجهًا لوجه"[25] و" عيناك مثبتتان ناحية القرية"[26] و"كان عليك أن تتعلمَ"[27] و"لا شكّ أنك كنت فخورًا بنفسك"[28] و"وكم أرَّقك البحث عن كتاب غائب"[29] و "وستهرع وصحبك إلى لقائه"[30] و"ها أنت في واشنطن"[31] و" واكتب إن استطعت تحيَّة لعبدالرحمن الكواكبي"[32] "ورأيتها كما رأى كثيّر صاحبته عزّة"[33].

وهنا يبرز سؤال قمين بالرعاية فحواه ما فائدة هذه الإحالة في ترابط النص؟، وهي تحيل إلى ما هو خارج عنه، والجواب: يمكن أن تكون الإجابة عن هذا السؤال نافية لفائدة هذا النوع من الإحالات، ولكن في نصوص أخرى، ليست شبيهة ببناء هذا النص، تكون ملحقات الإحالة فيها معميّة لا تكاد تُبين، ولكنّ الأمر يختلف في نصنا هذا، فيبدو هذا النوع من الإحالة قادراً أن يحقِّق للنص على مستوى الترابط علاقة بين المتلقي والنص، تدفع به _أي المتلقي_ إلى تأمل النص، والولوج إلى لُبّه؛ واستكناه خباياه، قصدَ تأويل المحالات إليها وتفسيراتها ضمنيًا، التي يحتاج القارئ إلى أن يستنبطها بالاعتماد على القرائن التي يوردها الكاتب في النص، ولعل ما سهّل المهمة على القارئ في إدراك تلكم العلاقات مجيء تلك الإحالات على شكل ضمائر المخاطب، الذي يعدّ عند علماء النص أعرف المعارف، فالمحال إليه معروف لدى القارئ، وهو قادر على قدراته الخاصة بتلقي النصوص أن يفهمها، ويدرك

[20] دي بو جراند، النّصّ والخطاب والإجراء، ط1، ترجمة : تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998م، ص232.

[21] خالد الكركي، سنوات الصبر والرّضا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنَّشْر، بيروت، لبنان، 1999م.

[22] سنوات الصبر والرّضا، ص12.

[23] سنوات الصبر والرّضا، ص21.

[24] سنوات الصبر والرّضا، ص23.

[25] سنوات الصبر والرّضا، ص33.

[26] سنوات الصبر والرّضا، ص37.

[27] سنوات الصبر والرّضا، ص57.

[28] سنوات الصبر والرّضا، ص69.

[29] سنوات الصبر والرّضا، ص81.

[30] سنوات الصبر والرّضا، ص99.

[31] سنوات الصبر والرّضا، ص131.

[32] سنوات الصبر والرّضا، ص145.

[33] سنوات الصبر والرّضا، ص162.

علائق الترابط بينها، ولا ريب أن هذا النوع من الإحالة يؤدي دورًا مهمًا، فترابط النصوص لا يقل أهمية عن الإحالة الداخلية "فإن سياق الموقف يبيّنُ قصد منشئ النص، ومن هنا يساعد المتلقي على فهم النص وتلقيه بصورة قريبة من تلك التي يقصدها منشِئ النصّ"[34]. أضف إلى ذلك أن الإحالة المقاميّة قد قامت بمدّ جسور بين الفراغات البيض، بين أجزاء النص، التي لم يرغب الكاتب بذكرها صراحة، وإنما أومض إليها إيماضًا.

الإحالة النَّصِّيّة "الداخليّة" (endophoria reference):

- **القَبليّة :**

وهي الإحالة إلى مذكور سابقًا، وليس غريبًا حضورها الكبير في النص على امتداده؛ ذلك أنَّ "الضمائر يكتنفها الإبهام والغموض ... ولا بدَّ من مفسِّر يزيل إبهامها "[35] ولو تأملنا النّصّ المدروس لوجدناه مفعمًا بها، إذ كان حضور هذا النوع هو الأكثر مقارنة بالأنواع الأخرى، ولعلَّ ذلك جاء من طبيعة السيرة الذاتيّة التي تكون وظيفة اللغة فيها إخباريَّة، تتطلب من كاتبها التفسير والتعليل والإيضاح، وتقسم هذه الإحالة إلى: إحالة إلى مفرد، وإحالة إلى مُركب. وقد كانت الإحالة إلى المفرد هي الإحالة الأكثر انتشارًا في النصوص المدروسة، فهي النوع البسيط من الإحالة، وتسمى بالإحالة المعجميّة، وأمثلتها كثيرة جدًا في النص، ففي قوله مثلًا : "تلك السيدة المؤابية، كانت تستقبل نهارها بالرضا عن الدنيا التي ما أعطتها من مباهجها شيئًا، ولكنه الرضا الإنساني العميق.... كانت راضية بحظّها، فلها من الدنيا أنتم الصبايا الأربع.... وكم كنت تسعد بالاقتراب من حكاياتها.... وكم كان انشغالها عليكم كبيرًا حتى بعد أن كبيرتم .... وكم عانت كي تظلوا قادرين على الذهاب إلى المدرسة .... وأوقدت لكم نار التذكر والشوق"[36]، نجد عدد كبيرًا من الإحالات تحيل جلّها إلى اسم واحد هو "السيدة المؤابية"؛ مما يجعل من هذا الاسم "المحال إليه" بؤرة مركزيّة تربط النص، وتزيد تماسكه، من خلال خلق شبكة إحاليّة لها بؤرة واحدة، تحيل دلالات النص، وأفكاره، ورسالته إليها. ويظهر ذلك جليًّا أيضًا في قوله: "والحزن وجهًا لوجه، والشيخ قد أسلم الروح راضيًا... وقد كنت راضيًا أنك سهرت معه ليلته الأخيرة... وحين غادرته في الصباح لساعات قليلة غافلك ورحل..." [37] إذ تحيل جميع الضمائر إلى كلمة "الشيخ" إحدى البؤر الأساس في بنية النص، ويلحظ في كل الإحالات السابقة أن المحال إليه لفظ واحد معيّن، يسهل معرفته وتحديده، وهو يعكس طبعًا مدى ترابط النص، واتّحادها في تكوين البنية الدلالية الكبرى للنّصّ، ومن الأمثلة على الإحالة القبليّة الكثيرة في النص قوله: "جعفر وزيد وعبد الله الذين نثروا دمهم الزكي"[38] حيث يحيل الضمير "هم" إلى مذكورين سابقًا هم "جعفر وزيد وعبد الله"، ومثله: "إن في لغة هذه الصفحات حزنًا هائلًا وكأنك كتبتها وأنت تحدق في المراثي السبع"[39] فالضمير "الهاء" في كلمة "كتبتها" يعود على متأخر هو كلمة الصفحات، وفي قوله: "تلك خولة يا أبا الطيب... كي تقرأ حزنك على قبرها رثاء لا نهاية لروعته"[40]، إذ يعود الضمير في كلمة قبرها إلى كلمة "خولة" المذكورة آنفًا، وفي قوله أيضًا: "وأخبره أن الحال ما تغيّر كثيرًا على الأمة فقد فقدت وحدتها السياسية

---

[34] عادل مناع، سورة هود دراسة في ضوء نحو النّصّ، رسالة ماجستير (مخطوطة)، جامعة عين شمس، مصر، 2009م، ص74.

[35] نوال الثيان، الإحالة الضميرية في اللغة العربية مقاربة تطبيقية في ضَوْءِ نحو النّص(مقالات خالد المالك في في الحوار والاختلاف إنموذجًا)، ص243.

[36] سنوات الصبر والرّضا، ص12-13.

[37] سنوات الصبر والرّضا، ص34.

[38] سنوات الصبر والرّضا، ص50.

[39] سنوات الصبر والرّضا، ص109.

[40] سنوات الصبر والرّضا، ص109.

ونخشى أن تفقد وحدتها الثقافيّة والفكريّة"[41]، إذ تربط الإحالات السابقة جميعها جملة المحال بجملة المحال إليه؛ مما يفيد النّصّ من ناحية ربط اللاحق بالسابق، في صورة استمراريّة لدلالته وأفكاره.

فالإحالة القبلية في نصنا هذا أسهمت في ترابط النص من ناحية أخرى، وذلك عن طريق استعادة المعاني والأفكار، وإعادة بثّها في النّصّ، وجعلها قريبة من ذهن المتلقي، دانية منه، مما يسهم في ترابط النص، وتكامل رسالته، أضف إليه إسقاط المكرور من الحديث، وعدم الحاجة إلى ذكره مرة أخرى، وذلك بالاستغناء عن ذكره بالإحالة إليه. ويمكن أن نضيف إلى ذلك أن الإحالة القبليّة أدّت في نصنا هذا دور نقطة الارتكاز، التي تجمّع دلالات النص المتناثرة هنا وهناك، إذ يلحظ أنها جميعًا كانت تربط النص، وتكشف خباياه، وتعمل على إبراز هويته، ومعالمه. ينظر أمثلة ذلك في الجدول رقم (1-1):

الرقم	المحال	المحال إليه	عدد الضمائر	الصفحة
1	أم من جعفر وزيد وعبدالله الذين نثروا دمهم الزكي	جعفر وزيد وعبد الله	1	50
2	وكيف لنا أن نفهم مدينة مثلها عمرها عمر التاريخ نفسه	مدينة	1	52
3	وبصورة غامضة لا تعرف الآن أبعادها	صورة غامضة	1	59
4	أمام سرايا الحكومة العثمانية التي هدموها بعد زمن	السرايا العثمانية	1	62
5	كانت الجامعة الأردنية _حرسها الله_	الجامعة الأردنية	1	67
6	فقد أصبحت فلسطين كلّها محتلة	فلسطين	1	69
7	وأنت تحاور رفيقة الدرب وتحاول إقناعها بأنك شاعر	رفيقة الدرب	1	70
8	إنه زمن أواخر الستينيات تكاد ترى لونه الآن	زمن أواخر الستينيات	1	71
9	في المشهد العربيّ كلّه	المشهد العربي	1	74
10	أو كاتب مغضوب عليه	كاتب	1	81
11	كامبردج ..جميل أن تتذكرها	كامبردج	1	83
12	كان الوطن يخرج من انتخابات المجلس النيابي التي طال انتظاره لها	الوطن	1	89
13	هل زاد فضاء الحريّة واتّسع أفقها	فضاء الحرية	1	92
14	وبين السياسي الذي يعدّ دراهمه وأفكاره	السياسي	2	93
15	يشرق على زمان الأردنيين فأنى توجهوا ثم وجه من بني هاشم	الأردنيين	1	97
16	أن جلالة سيدنا سيجد نفسه والمرض وجها لوجه	جلالة سيدنا	1	100
17	قلت الدعوات يا سيدي كثيرة وعرضتها على مسامعه	الدعوات	1	103
18	وكنت تقول لي إن في لغة هذه الصفحات حزنًا هائلًا وأنك كتبتها وأنت تحدق في المراثي السبع	هذه الصفحات	1	109
19	فلماذا تلفّت جعفر إلى الراية وضمها	الراية	1	111
20	وأتذكّرُ أمي وأقول: يا حزنها لو رأت نعشك والجنوبيون يحملونه	أمي	1	113
21	سأسافر عبر الطريق نفسه	الطريق	1	114

[41] سنوات الصبر والرّضا، ص145.

22	يسأل : كيف الوطنْ؟ - قد مسّه الضُرُّ وارتاع من عاديات الزمنْ!	الوطن	1	122
23	يا حزن أمي لو رأتك تعودُ محمولًا على كتفي ويا طول الأسى لو شاهدت مسرى دمك	أمي	1	125
24	إلى السيدة التي أحلت معها الحياة المقدورة لكما إلى فرح وشقاء لا ينتهيان	السيدة	1	129
25	تلك خولة يا أبا الطيب... كي تقرأ حزنك على قبرها رثاءً لا نهاية لروعته	خولة	1	131

الجدول رقم: (1-1)

- البعديّة:

وهي الإحالة إلى متأخِّر لفظًا كما مرَّ معنا، ويسمّيها علماء النَّصِّيّة أيضًا: المرجعية اللاحقة، ويعرف الأزهر الزّناد بأنها "إحالة عنصر إشاري غير لغوي موجود في المقام الخارجي"[42]. وقد عرفها علماء العربية من مثل ابن الحاجب والرضيّ وابن هشام وغيرهما.

وقد حضرت هذه الإحالة بشكل كبير في النّصّ المدروس، وإن كانت هي الأقلَّ حضورًا بالنسبة إلى أنواع الإحالة الأخرى؛ وذلك أنَّ نظام اللغات كذا، يقوم على الإحالة إلى مذكور سابقًا سواء كان ذلك بذكره صراحة أو بذكر شيء من لوازمه، والأمثلة عليها كثيرة منها قوله: "يوغل في ذاكرتك نبشًا هذا الصباح"[43]. و"هل هو ذاك الوجد أن تكون فلاحًا في قريتك"[44] و"ولم تكن أنت حريصًا على هذا الطموح"[45] و"وذاك أنت"[46] و"ما يزال ذلك الصباح متشبثًا بوجدانك"[47] "لَمْ أرَ تلك الرسالة"[48] و"لو مرةً يأتي البشير يشقُّ هذا الصمت "[49] و" أما آن الأوان أن يتوقف عن هذا الرحيل"[50] و"ها أنت تفارق أبا الطيب في هذه الصفحات"[51]. إن الإحالة البعدية قد خدمت نص الكركي، من أكثر من وجه، فهي قامت بدورها في ربط الكلام أولًا، أضف إلى ذلك أنها قامت بدورٍ تفسيري لما يليها، أسهم في إبراز وظيفتها، وترابط النص. ينظر أمثلة ذلك في الجدول رقم (1-2):

---

[42] الأزهر الزّناد، نسيج النص - بحث فيما يكون يكون الملفوظ به نصًا-، ط1، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب ، بيروت، لبنان، 1993م، ص119.

[43] سنوات الصبر والرّضا، ص9.

[44] سنوات الصبر والرّضا، ص24.

[45] سنوات الصبر والرّضا، ص42.

[46] سنوات الصبر والرّضا، ص65.

[47] سنوات الصبر والرّضا، ص101.

[48] سنوات الصبر والرّضا، ص111.

[49] سنوات الصبر والرّضا، ص155.

[50] سنوات الصبر والرّضا، ص143.

[51] سنوات الصبر والرّضا، ص123.

الرقم	المحال	المحال إليه	عدد الضمائر في الفقرة	الصفحة
1	ولم تكن أنت حريصًا على هذا الطموح	الطموح	1	42
2	حول هذا الجرح	الجرح	1	45
3	غير تلك الأسوار الصغيرة	الأسوار	1	53
4	في مدارس هذه المدن العزيزة	المدن	1	57
5	أي طرق تلك المدن أحبّ إليك	المدن	1	59
6	بعد ما يزيد على عقدين من ذلك الزّمان	الزمان	1	61
7	هدموها بعد ذلك بزمان	بزمان	1	62
8	قد تغيّرت في تلك الساعة	الساعة	1	63
9	وذاك أنت	أنت	1	65
10	تلك هي الجامعة على مد البصر منك	هي الجامعة	1	70
11	هذا العملاق الذي رحل	العملاق	1	73
12	بعد مئة سنة من ذلك الزمان	الزمان	1	82
13	في تلك اللحظة لم يكن قريبا منك	اللحظة	1	90
14	فهذا الزمان "يفدى فيه الكبش بإسماعيل"	الزمان	1	98
15	ما يزال ذلك الصباح متشبثًا بوجدانك	الصباح	1	101
16	وأدركت أن هذا الوطن هو مملكة الفقراء	الوطن	1	103
17	سوف تطبق صمتك على هذه الأوراق	الأوراق	1	109
18	لم أرَ تلك الرسالة	الرسالة	1	111
19	سأنتظرك صباح هذا العيد الأول بعد الرحيل	العيد	1	114
20	أفقْ هذه عتبة الأربعين	عتبة الأربعين	1	119
21	هذا صباح جديد	صباح جديد	1	119
22	ستنهض مملكة الحزن في هذه الأرض	الأرض	1	122
23	لو مرةً يأتي البشير يشقُّ هذا الصمت	الصمت	1	123
24	هذا ضريحك شاهدي	ضريحك	1	125
25	تود لو تنثرها على هذا الورق	الورق	1	130

الجدول رقم: (1-2)

(ثانيًا) المدى الإحالي :

أما بالنسبة إلى المدى الإحالي فإنه يعد مؤشّرًا مهمًا من مؤشرات الترابط النَّصِّيّ، والمدى الإحالي هو عدد الكلمات التي تفصل بين عنصرَي الإحالة الرئيسين، بحيث إن عدد الكلمات بين اللفظ المحال واللفظ المحال إليه يعكس مدى ترابط النص وتماسكه، فالنص الذي يكون عدد الكلمات بين المحال والمحال إليه قصيرًا أو ذا عددٍ قليل فإنه لا ريب يكون متماسكًا ومترابطًا أكثر من غيره من النصوص، وذلك لقصر المسافة بينهما مما يزيد من ترابطهما وتلاحمهما، ويقسم المدى الإحالي في النصوص إلى نوعين هما: إحالة ذات مدى قريب، وإحالة ذات مدى بعيد.

1- إحالة ذات مدى قريب :

وحدود هذا المدى أن يقع الضمير مع مفسره في جملة واحدة أو أن يفصل بينهما ثلاث جمل إسنادية[52]، ولو تفحصنا نصنا المدروس فإننا سنجد لا محالة المدى الإحالي الأكثر انتشارا في الإحالات القبيلية في النص حسب الشكل (1-1) هو المدى الصفريّ، أي أنّ عدد الكلمات التي تفصل بين المحال والمحال إليه صفر كلمة، يليه الجملة الإسناديّة الواحدة، والأمثلة على ذلك كثيرة، انظر مثلا قوله: مثال (2) (1-1) إذ يقول الكركي: "وكيف لنا أن نفهم مدينة مثلها عمرها عمر التاريخ نفسه" فنلاحظ أنه لا مسافة فاصلة بين الضمير المحال الهاء في قوله: "مثلها، وعمرها" وبين المحال إليه كلمة "مدينة". وذلك أيضًا في قوله: مثال (9)(1-1) "فقد أصبحت فلسطين كلها محتلةً" فيحيل ضمير الهاء كلمة "كلها" إلى الكلمة السابقة "فلسطين" دون أي حاجر بينهما، مما جعل المسافة بينهما صفرية، وأيضًا في قوله: مثال (19) (1-1) "فلماذا تلفت جعفر إلى الراية وضمها" فيحيل الضمير في ضمها إلى الكلمة التي سبقت مباشرة "الراية" والأمثلة على ذلك كثيرة، يراجع الشكل (1-1).

أما بالنسبة إلى المدى الإحالي للإحالة البعديّة فكما يظهر في الشكل (1-2) أن مداها في الأمثلة جميعها كان صفريًا وكان (المحال إليه) يلي مباشرة المحال دون أيّ فاصل بينهما، ولا ريب أن مدى الإحالة كان قصيرًا جدًا، إذ لما تفصل أي كلمة بين المحال والمحال إليه، أسهم في تقارب كلمات النص ودلالاتها من بعضها بعضًا، كما أنها تجعل القارئ متشوفًا إلى ما سيجيء ذكره في النص. ونستنتج مما سبق أنّ المسافة بين المحال والمحال إليه قد جاءت في كتاب سنوات الصبر والرضا قصيرة للغاية؛ وصفريّة في غالب الإحيان؛ مما أسهم في إبراز دور الإحالة في ربط أجزاء النص بعضها ببعض، وتقصير المسافة بينها، فقد خلقت الإحالة قنطرة بين ألفاظ النّص ومن ثَمّ أفكاره، مما كان له أظهر الأثر في تحقيق الترابط في النص المدروس.

1- <u>إحالة ذات مدى بعيد:</u>

وتكون فيها المسافة بين المحال والمحال إليه طويلة جدًا تصل إلى خمس مُركّبات إسناديّة[53]، والحقّ أن هذا النوع لم تظهر في النّصّ المدروس، ولعلّ ذلك يشي بمقدار الترابط الكبير فيه، ذلكم الترابط الذي وفرته قوة قلم الكاتب حين جعل الكلام كلَّه آخذًا برقاب بعضه بعضًا، متتاليًا، متواليًا، مترابطًا.

<u>(ثالثًا) العلاقة من المحال والمحال إليه:</u>

ذكرنا فيما سبق أن من شروط صحة الإحالة التطابق إفرادًا وتثنية وجمعًا، وعدم الإبهام أو الغموض[54]، وفي هذا الجزء من الدراسة نحاول أن نلقي بالضوء على أمثلة من الإحالة القبليّة والبعديّة في النصوص، بهدف الوقوف عندها وفحصها، ومن ذلك قوله في الإحالة القبيلة: المثال (13) (1-1) "هل زاد فضاء الحريّة واتّسع أفقها؟" إذ نلحظ تطابقًا بين المحال "ضمير الهاء المفرد المؤنث" وكلمة "الحرية" المفردة المؤنثة، وكذلك في قوله: (17) (1-1) "قلت الدعوات يا سيدي كثيرة وعرضتها على مسامعه" ففي المثال السابق يتطابق المحال "ضمير الهاء الجمع المؤنث" في قوله "عرضتها" مع المحال إليه الجمع المؤنث "الدعوات"، وكذلك الأمر في الإحالة البعديّة فمثلا ينظر: المثال (20) الشكل (2-2) "أفقْ <u>هذه</u> عتبة الأربعين" حيث يتطابق المحال "هذه" مع المحال إليه "عتبة" إفرادًا وتأنيثًا، وكذلك في المثال (25) (2-2) "تود لو تنثرها على <u>هذا</u> الورق" ففي المثال السابق يتطابق المحال "هذا" في قوله مع المحال إليه "الورق" إفرادًا وتذكيرًا.

وبتفحص الشكلين (1-1) الممثل للإحالة القبليّة، وكذلك (1-2) الممثل للإحالة البعديّة نجد تطابقًا تامًا بين كل محال ومحال إليه، أما بالنسبة إلى ضمائر المحال في الإحالة الخارجيّة فقد جاءت جميعها على هيئة ضمائر مفردة مذكرة متطابقة مع المحال

---

[52] نوال الثنيان، الإحالة الضميرية ...، مرجع سابق، ص256.

[53] نوال الثنيان، الإحالة الضميرية ...، مرجع سابق ص259.

[54] يراجع الهامش رقم (19) .

إليه "الكاتب" المفرد المذكر[55]، كما تجدر الإشارة إلى أننا لم نجد فيها ما قد جاء مبهمًا أو غامضًا، وقد منح ذلك النّصّ ترابطًا وانسجامًا، كما أنّ هذا التطابق قد نأى بالمتلقي عن التشتت كما يقول السيوطيّ[56]، إذ يعد هذا التطابق "الوسيلة الكفيلة بربط الضمير بمرجعه، وهو ما يمنح النّصّ سمة التماسك"[57].

ب- "الربط بالأدوات في كتاب سنوات الصبر والرضا":

يمثل الربط بالأدوات في النص اللغويّ أحد أبرز وسائل الترابط النص، ذلك أنه يمدُّ جسرًا متينًا بين الوحدات الدلاليّة في النص، ومن أمثلة ذلكم في النص:

- الربط الإضافي: واو، فاء، أو .

وقد ظهر هذا النوع من الربط في كل صفحة تقريبًا من النص بنسبة 90% من صفحات النص، وقد تصدّر الربط بالواو أشكال الربط الإضافي، فاعتمد عليه الكاتب في ربط أجزاء الجمل بعضها ببعض، ومن ذلك قوله: "فقد كبر الشيخ وجرّب الرحيل والحياة حلوها ومرها، وكبرت أنت، وظل آخر دروسه حاضرًا في روحك وأنت تقرأ بين يديه في كتاب الله الكريم: (عمَّ يتساءلون، عن النَّبإ العظيم، الذي هم فيه مُختلفون)، وقد مر بك وقت طويل بعد ذلك حتى عرفت ما هو النبأ العظيم، ولماذا هم فيه مختلفون، وعرفت أيضًا ما هي عاد، وما هي إرم ذات العماد""[58]، إذ تكرر حرف الواو في هذه السطور (8) مرات، ومن ذلك قوله: "تحلق أفق الشمس حتى يغيب، وظل الطّراد مستمرًا، وها رذاذ من التذكر يهطل، وأنت تسترجع بعض زمان الرحيل الذي مدّ بصرك بين استنطبول وكوالالمبور، وداكار، وواشنطن، والرباط، والقاهرة، وباريس، ولندن، وصنعاء (...) ها أنت والأفق يلوح لك والطراد لايهدأ، والدنيا على قلق، والغرب غرب، والشرق شرق، وصوت من عمان لا يهدأ تنهض كل صباح"[59]، ويلحظ أن حرف (الواو) ورد في السطور القليلة الماضية (17) ممّا يؤكد اعتماد الكاتب الكبير عليه في حَبك نصّه، ومن خلال ما سبق نستنتج أن انتشار الربط بهذا الحرف في النّصّ قد منح النّصّ استمرارية وانسيابيّة لدلالات النصّ الزاخر بها، وقد أسهم حرفا "أم" و "أو" أيضًا في ربط النّصّ ولكن بنسبة أقلّ مقارنة بحرف الواو، ومن ذلك قوله :"وتظل على شاهد الطريق أو القبر إشارة أنك مررت من هنا"[60]، وكذلك قوله: "أم أنها السلط (...) أو لعلها الطفيلة..."[61] وقد أفاد كلا الحرفين النّصّ من ناحية الترابط، فمنح النص من خلالهما استمرارية للدلالية.

- الربط الشرطي: لوْ، إذا، إنْ، منْ.

---

[55] انظر: عناصر الإحالة في الهامش رقم (19) .

[56] تراجع أمثلة الإحالة الخارجية فيما ذكر سابقًا .

[57] محمد يونس علي، الإحالة وأثرها في دلالة النّصّ وتماسكه، مدونة تخاطب، ينظر الرابط:

http://takhatub.blogspot.com/2009/06/blog-post_4712.html

3-7-2017م، الساعة :8:57م.

[58] سنوات الصبر والرّضا، ص11.

[59] سنوات الصبر والرّضا، ص129.

[60] سنوات الصبر والرّضا، ص24.

[61] سنوات الصبر والرّضا، ص60.

وقد كان هذا الربط شحيحًا في النص يتجلّى في أمثلة ذاوت عدد منها قوله: "أي حزن كنت ستغرقين به الدار لو كنت حاضرة"[62]، وكذلك في قوله :"يا للحجر لو يتذكر"[63]، وأفاد منه ترابط النص بما منحه للنص من تعدد احتمالات الموقف الواحد، وفتح آفاق جديدة للمتلقي في تلقيه للنص، أضف إليه ما للشرط من دلالة توكيدية تسهم أيضًا في ترابط النّصّ.

- الربط الزمني: ثم، بعد، أخيرًا.

ولم تختلف نسبة مجيء الربط الزمني كثيرًا عن نسبة الربط الشرطي وإن كانت قد زادت عليها قليلًا، ومن ذلك قوله: "ثم تقرأ حديث علماء الآثار"[64]، وكذلك قوله: "وقد بحثت بعد رحيله عمن يخبرك عن الكتب التي كان يقرأ فيها فلم يجبك أحد"[65]، وكذلك قوله: "أقول كنتَ، وكأنك الآن غير كائن"[66]، وكذلك قوله: "ثم أدق على بوابات هذا الليل الطويل"[67]، وهذه النسبة القليلة أمر اعتياديّ؛ فالإشارة إلى الزمان كلًّا تكفي الكاتب مرونة التفصيل في كل زمن، ويمكن القول: إنّ الربط بالاستدراك قد ربط النص بالفكرة الأساسية له، حيث ظل يعيده إليها، كلما خرج الكاتب عن الفكرة الرئيسة للنّصّ.

- الربط الاستدراكي: لكن، إلا أنه، بالرغم مِنْ.

وظهر هذا النوع من الربط في أنحاء كثيرة من النّصّ، ولكن الغريب أنه جاء في أغلب الأحيان بـ "لكن"، ومن ذلك قوله: "ولكن هل تمتلك الجرأة"[68]، ومن ذلك قوله: "ولكن أنى لك الآن أن تسترجع تفاصيل الزمان الذي ولى"[69]، ومن ذلك قوله: "لكنك تبصرها بينهم"[70]، وقد ظهر ويظهر أن الكتاب استطاع أن ينسج نصًّا متماسكًا وقويًّا حين استخدم أنواع الربط بأشكالها المختلفة، من الربط بالإضافة أولًا ومرورًا بالشرطي والزمني والاستدراكي.

(2) "العلاقات الدلاليّة في كتاب سنوات الصبر والرضا" :

تعدُّ العلاقات الدلالية من أبرز عناصر الترابط النَّصِّيّ، وتعرف بأنها: علاقات تجمع بين أطراف النّصّ دون أن تظهر في وسائل شكليَّة، مثل: علاقة السببيّة، وعلاقة التعليل، وعلاقة الإجمال والتفصيل، وعلاقة التقابل، وعلاقة السلب والإيجاب، وعلاقة التأكيد[71].

وقد ظهرت في نص الكركي علاقات كثيرة من العلاقات الدلالية، ولعلّ أبرزها، الذي يستحق الدراسة، هما علاقتا: التفصيل والسببيّة، وتعد هذه العلاقات أحد أهم عناصر الترابط في النصوص بحيث "لا يكاد يخلو منها نص يحقق شَرطَي الإخباريّة والشفافيّة مستهدفًا تحقيق درجة معينة من التواصل (...) بل لا يكاد يخلو منها أي نص يعتمد الربط القوي بين أجزائه"[72].

---

[62] سنوات الصبر والرّضا، ص25.

[63] سنوات الصبر والرّضا، ص70.

[64] سنوات الصبر والرّضا، ص11.

[65] سنوات الصبر والرّضا، ص14.

[66] سنوات الصبر والرّضا، ص16.

[67] سنوات الصبر والرّضا، ص29.

[68] سنوات الصبر والرّضا، ص33.

[69] سنوات الصبر والرّضا، ص55.

[70] سنوات الصبر والرّضا، ص70.

[71] محمد خطابي، لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، ص269.

أ- "علاقة التفصيل":

تعدُّ علاقة التفصيل إحدى أبرز العلاقات الدلاليّة، المسهمة في ترابط النص، وتماسكه؛ ذلك أنها تعمّق المعنى حين تفصلّه، كاشفةً عن خافيه ومستوره، ومبينةً أهميته أيضًا، ويعرِّف العلماء التفصيل بأنه: "إيراد معنى على سبيل الإجمال، ثم تفصيله أو تفسيره"[73] وأيضًا بأنه: "ما كان مُبينًا ومُفسِّرًا لمجمل من كلام سابق، في موطن معلوم، لغرض بلاغي"[74].

والقارئ في سيرة الكركي هذه يجده يعمد كثيرًا إلى التفصيل بعد الإجمال، بحيث أمست لازمة لم يتركها أو يتخلَّ عنها في جُلّ الكتاب، ومن ذلك تفصيله وإطنابه عند ذكر معلميه الأوائل في المدرسة، فقد ذكر الكركيّ أسماءَهم واحدًا واحدًا، حيث يقول: "وإن الخيرة من أبناء فلسطين هم معلموك فيها، مصباح شتيّ، وعبد الرحمن مصطفى، وطلال الريماوي"[75]، ولعل ذلك راجع إلى الفضل الذي يدين به الكركي لهم؛ إذ أراد أن يبرز أهميتهم لديه، تنشِئة، وتأثيرًا... . وكذلك تفصيله حين مرّ بذكرياته؛ فإنّ الكركي يفسر سبب تفصيله القول فيها، فهي أشياء جديدة، تظل عالقة بالوجدان وخصوصًا عند الأطفال حين يتعرفون إليها في المرات الأولى "فما الذي يشدك الآن إلى فضاء هذه السنوات المعتق في الذاكرة والوجدان؟ ألأنّ كل شيء فيها كان جديدًا للمرة الأولى: صوت المعلم، وجرس المدرسة، وأول الكلام، والجرائد، والنشيد، والإذاعة، وأدب البادية، وصوت فيروز..." [76].

أما في حنينه إلى الزمان الذي ولّى، فإن التفصيل يجيء ضرورة؛ ليتبين القارئ ملامح هذا الزمان الجميل ومكوناته وعناصره، أضف إليه تفخيم هذا الزمان السالف وتعظيمه، حيث يقول الكركي: "والزمان الذي كان طيبًا لا طيب بعدُ فيه، كل شيءٍ يبتعد، الذكرى، وقصيدة ابن زريق...، والفرح الجريح ولّى، والمؤابية بعض حلم يتسرب من شقوق الجرح..." [77]. وكذلك يفصل الكركي في حديثه عن جامعة "كمبردج"، التي تعلم فيها النقد، والبحث، والعمل، وعاش فيها أجمل سنيّ حياته، حيث يقول :"كمبردج: النهر، والجامعة، والمساء الجميل، وكمبردج الحركة الرومانسية العتيقة، وكمبدرج.. رفاق زمانك البائس الجميل..."[78]، إن في مثل هذا التفصيل رفعًا لمستويات النَّصِّيّة في النص، حيث يخلق التفصيل نغمًا موسيقيًا أو لنقل: إيقاعًا من خلال المفردة المتتابعة التي تشكل صورة من المتواليات النَّصِّيّة التي تسهم في تحقيق ترابط النص وتماسكه.

وخلاصة القول: إن أسلوب التفصيل منح النص تماسكًا وترابطًا؛ ذلك أن النص القوي المتماسك، هو النصّ الذي ليس فيه إيجاز مخل بالمعنى والرسالة المرادة من كتابته، بل هو النص الذي يكون مستوفيًا لها.

ب- " علاقة السببيّة"

ليس غريبًا أن يبرز سؤال لِم حدث ذلك في النص الأدبيّ، خصوصًا في أحداث السيرة الذاتيّة، التي يقدمها الكاتب خلاصة لتجربته في الحياة؟ فلقد عمد الكركي _منتج النص_ إلى استخدام علاقة السببيّة في مواضع كثيرة وبصور متنوعة؛ تارة بأداة لفظية، وتارة معنوية؛ ولعلّ ذلك هو ما يجعل القارئ يشعر بتوالي الأحداث، ومنطقيتها، مما يضفي إلى النص بُعدًا ترابطيًا بين بناه التحتيّة،

---

[72] المرجع السابق، ص269.

[73] جميل عبد المجيد، بلاغة النص "مدخل نظري ودراسة تطبيقية"، ص18.

[74] هاني أبو خضر، أسلوب التفصيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن الكريم، ص12.

[75] سنوات الصبر والرضا، ص15.

[76] سنوات الصبر والرضا، ص21.

[77] سنوات الصبر والرضا، ص29.

[78] سنوات الصبر والرضا، ص81.

وتعرف علاقة السببيّة عند المنشغلين بعلم تماسك النص بأنّها: "علاقة تربط بين مفهومين أو حدثين، أحدهما ناتج عن الآخر"[79]. ومن الأمثلة على تلك العلاقات التي فاض النص بها، بيان سبب تجمعه مع أطفال القرية في طفولته بغية التعليم في الكُتّاب بلام التعليل، بقوله: "هاهم يجتمعون في ساحة الجامع وقد جلبوكم، أنتم الأبناء ممّن تتراوح أعمارهم بين السادسة والثانية عشرة، ليقوم المعلم بتصنيفكم بصفوف ابتدائية أربعة"[80].

ومنه أيضًا تفسيره كونه أصبح نافذة القرية إلى المدينة بأنه كان يذهب إليها مرارًا وتكرارًا للدراسة، وقد استخدم لذلك أداة سببيّة لفظيّة هي "لأن" بقوله: "وكنت نافذتهم إلى المدينة لأنك تذهب إليها وهم قليلًا ما يذهبون"[81]. إن الكركي في نصه هذا يقدم مراجعات فكريّة، تحتاج منه تفسيره الظاهرة وبيان أسبابها، إذ برزت هذا العلاقة في كل صفحة تقريبًا، ومن ذلك تبيان سبب تمسكه في الأمل هو وأبناء قومه في ذلك الزمان، ذلك أنهم كانوا يحلمون أن يبقى وطنهم قويًا، عزيزًا، كبيرًا، إذ يقول: "وكنا نشد على الأمل حتى لا يموت قبل أن تتشكل صورة الوطن على حُلُم من المروءة والكبرياء"[82]. وذلك أيضًا في قوله: "عمان التي سيقطعها الشيخ من منطقة الإذاعة إلى الجامعة سيرًا على الأقدام في أحداث عام 1970م فقط ليطمئن أن ضررًا لم يلحق بك... !!!"[83]، فيقدم الكركي السبب (قطع الشيخ المسافة بين منطقة الإذاعة ومنطقة الجامعة سيرًا الأقدام) ولتأتي النتيجة (ليطمئن أن ضررًا لم يحلق بك). وخلاصة القول: إن علاقة السببيّة أسهمت في ترابط النص، وتماسكه، وكانت علاقة مهمة من أبرز العلاقات الدلاليّة فيه، فقد كان الكركي كثيرًا ما يعمد إليها وهو يرسم صورة ذكرياته "سيرته"، ممَّا سيسهم في قبول النص الكركي _إن جاز التعبير_ قبولًا دلاليًا من لدن القارئ .

(3) **"الترابط المفهوميّ من خلال مبدأ التغريض لعنوان النّصّ":**

بدا واضحًا أنَّ النقاد واللغويين في العالم على اختلاف تخصصاتهم واهتماماتهم متفقون على أن العتبات النَّصِّيّة، تمثل تقنيات مهمّة من تقنيات الخطاب الفني للعمل الأدبيّ أيًّا كان جنسه، ذلك لما لها _أي تلكم العتبات_ من دلالات مهمَّة تساعد القارئ أو الناقد على سبر أغوار العمل الفني والولوج إلى بنيته، وتركيبته، ورسالته، ذلك أنّ العنوان هو أول ما تقع عين القارئ عليه.

ولا ريب أن العنوان إذا ما استطاع أن يعبر عن رسالة النّصّ أو أن يلمح إليها فإنها تؤدّي دورًا مهمًّا من ناحية ترابط النّصّ وتماسكه، والحقيقة أنّ دراسة عتبة العنوان يعدّ اليوم مُعينًا رئيسًا يساعدنا في الكشف عن مدى ارتباط النص ولنقل: انسجام عنوانه برسالة الخطاب _النّصّ_ والمؤلف، ذلك اختيار المرء للغلاف والعنوان إلى غير ذلك من العتبات النَّصِّيّة قِطعة من قلبه أو عقله كما هو معلوم، ورسالة مصغّرة وقصيرة للنص. ويبحث تغريض النص في العلاقة التي تربط موضوعه بالعنوان[84]، ويمكن التعبير عن العنوان بأنه نواة إخبارية تتناسل منها جمل متواليّة تعبر عن مضامين النص المشكلة لموضوع الخطاب الذي يتمحور حول ثيمة مركزية[85]، وتتضح الصلة الوثيقة والعميقة التي تربط بين العنوان ورسالة النص في نصنا هذا، فيعبر العنوان بشقيه عن فحوى الكتاب، ومدى ارتباطهما برسالته وفكرته، إذ تعبر كلمة سنوات عن السيرة الذاتية التي تضمها صفحات الكتاب بين دفّتيها، في حين تعبر كلمتا الصبر والرضا عن لحظات الفرح والصبر في هذا السيرة.

---

[79] جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة و اللسانيات النَّصِّيّة، ص 142.

[80] سنوات الصبر والرضا، ص13.

[81] سنوات الصبر والرضا، ص14.

[82] سنوات الصبر والرضا، ص26.

[83] سنوات الصبر والرضا، ص38.

[84] دي بو جراند، النص والخطاب والاتصال، ص79.

[85] ثناء سالم، دراسات تطبيقية في اللسانيات المعاصرة، دار الصحوة، مصر، 2008م، ص16.

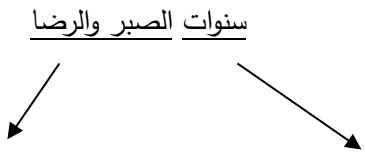

أمّا بالنسبة إلى عناوين الفصول في الكتاب فإنّك لتجد ترابطًا كبيرًا بينها وبين محتوياتها، ففي الفصل الموسوم بـ"وجه" أمي يعبّر الشّاعر عن العلاقة الوطيدة التي تربطه بأمّه، وفي الفصل الموسوم بـ"قامة أبي" يتحدث فهي الكاتب عن والده وعلاقته به، وكذلك في الفصل الموسوم بـ"الجامعة وقوفًا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أَسًى وتجمّل" فإن الكاتب يتناول فيه ذكرياته في الجامعة، من نشاطه العلمي طالبًا، إلى نشاطه الثقافي شاعرًا، إلى ذكرياته عاشقًا، وفي عنوان الفصل المستعار من معلقة طرفة العبد يلحظ القارئ مدى انسجام فكرة مع البيت مع المحتوى النَّصِّيّ للفصل، ويلحظ أيضًا في عنوان الفصل "من الكرك إلى كمبردج" أن الكاتب قد خصصه للحديث عن رحلته لنيل درجة الدكتوراة من الجامعة المدينة المشهورة، و في الفصل الموسوم بـ "في بيتنا وزير" يتحدث الكاتب عن أول وزارة يتولاها، وما أحاط بتلك المهمّة من حوادث وظروف، أمّا الفصل الموسوم بـ"لا بدّ من صنعا وإنْ طال السّفر" فقد جعله الكاتب للحديث عن المصالحة الوطنيّة اليمنيّة، ودوره فيها ممثلًا للأردن في سبيل إنجازها، ويلحظ القارئ أن جميع العناوين الفرعية تتصل وترتبط وتحيل مرجعيّا إلى محتويات الفصول التي كانت وسمًا لها.

لقد استطاع العنوان رئيسًا أو فرعيًا أن يختزل رسالة النص، بوصفه _العنوان_ رأسًا للهرم النَّصِّيّ _إن جاز لنا التعبير_ تتفرع عنه العناصر الأخرى المكونة للبنيّة الكبرى للنص، وخلاصة القول: إن ترابط العنوان رئيسًا أو فرعيًا مع النص قد مثّل جانبًا وأنموذجًا للترابط النَّصِّيّ في النص المدروس.

(4) <u>"التناص في كتاب سنوات الصبر والرضا":</u>

يبرز التناص اليوم في الدرس اللساني "اللغوي" الحديث في طليعة المسائل والقضايا، التي لاقت غير قليل من الدراسة والتحليل عند غير باحث، فيعرف التناص بأنه: "هو تَشْكيل من تركيبة فسيفساء من الاستشهادات، وكلُّ نص هو امتصاص أو تحويل لنصوص أخرى (...) أي أن النص يُنْشِئُ علاقة مع الماضي في سياقاته الثقافية والتاريخية والاجتماعية... إلخ، لكنَّها علاقة مُحمَّلة بدلالات معاصرة، ومستحضرة لصور تعبّر عن الواقع"[86].

والإشارة إلى أنّ الناقدة جوليا كريستيفا تُعدُّ أوّل من تناول قضية التناص، بحيث قدمت مهادًا نظريًّا للتناص، يعدّ اليوم مرجعًا لا غنى للباحث في التناص وقضاياه عن الرجوع إليه، والنهل منه.

ولعلَّ ما سبق يشي بأن للتناص دورًا مهمًا في بناء النصوص وترابطها وتماسكها، فالمعارف والعلوم والفنون تراكميّة، يستفيد فيها السابق من اللاحق، ويقدم جديدًا إليه، إذ لابد للنصوص من أن تتلاقح وكذا أن تتثاقف فيما بينها، ولذلك فإنه ليس غريبًا "أنَّ اثنين لم يختلفا ولن يختلفا في أن النص لا يمكن إيجاده من اللاشيء"[87].

---

[86] مصطفى وهابي، مفهوم التناص عند جوليا كريستيفا، ص382.

[87] حكمت النوايسة، التناص في شعر أبي تمام قصيدة "الحق أبلج" نموذجًا، مجلة أفكار الثقافية، شهرية تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية، عمّان،

ويجيء التناص متنوعًا في كتاب سنوات الصبر والرضا، بين تناصّ مع القرآن الكريم، والشعر العربي، وأمثال العرب ومقولاتها، فيمتح الكركي من النصوص السابقة في سبيل إغناء نصه، وتوطيد أفكاره، وخلق الفكرة المتداولة "المستهلَكة" خلقًا آخر في سياق معرفي جديد، والحقُّ أن النص المتناص عند الكركي يتماهى في علاقات غير أحاديّة مع نصوص أخرى، مما يجعل نصه متماسكًا، ومترابطًا، ومنفتحًا على آفاقٍ متعددةٍ، ومتشعّبةٍ، إلى عدد لا متناه من الانطلاقات الدلاليّة والمعرفيّة.

ومن هذه التناصات في نص الكركي توظيف عنوان المجموعة القصصية الشهيرة "النمور في اليوم العاشر" للكاتب السوري زكريا تامر، إذ يقول: "وينبت في داخلك صوت رفض سيحتاج منك ومن الآخرين إلى زمان ومعاناة حين يجتاح الأمة داء التدجين، لتصيروا كما هو مطلوب، نمورًا في اليوم العاشر..."[88]. ويُحيل قول الكركي الرافض لواقعه إلى قصة النمور التي روضها صاحبها مدةَ عشرة أيام حتى بدأت تأكل العشب، ناسية أنها حيوانات لحميّة لا تأكل سوى اللحوم، فيستفيد الكركي من فكرة هذا العنوان في الحديث عن دعاة التآلف مع الهوان في الوطن العربي الكبير.

ويتناصّ الكركي مع النص القرآنيّ، إذ يقول: "فاستند أنت إلى ثقتك التي تعلمتها من سهل مؤتة وحلم أهله، ولأقل رؤيتهم، بخيل تصعد من ثنية الوادي إلى المشهد في أيام بعينها، تبدو لهم رأي العين كأنها عمائم خضر، وخيام، وضجيج..."[89]. ويتضح في النص السابق أن الكركي يعبّر عن وضوح أمله في صعود الخيل إلى سهل مؤتة؛ لتقود خيل الأمة نحو فتوحات عظام، وذلك من خلال الاستعانة بالمفردة القرآنية "رأي العين" إذ يقول تعالى: " يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ"[90].

ويظهر التناص مع الشعر العربيّ القديم، في قوله: "وها أنت تنهي مرحلتك الابتدائية، فتلفَّتْ خلفك لعلّ صورًا غابت ورؤى لم تحضر، وإلا تلفَّتَ القلب وأنت عند آخر منحنى يطل على مَحنا"[91] مع بيت الشريف الرضي الشهير[92]:

وَتَلَفَّتَتْ عَيني، فَمُذْ خَفِيَتْ عنها الطلول تلفَّتَ القلبُ

إذ يظهر في ذلك براعة الكركي في نثر البيت "أي تحويله إلى نثر"؛ ليخرج من ربقة التضمين، إلى فضاء الخلق والإنشاء، فهو بتناصه الذكي هذا يعبر عن فكرته بجملة شعرية.

ولا يكفُّ الكركي عن توظيف النص الشعري، للتعبير عن أفكاره، ومشاعره، وأحاسيسه، بوصفه شاعرًا، يقول: "ولم تسعفك معرفتك آنذاك بأي وصف لا لطول الليلة النابغية، ولا لحركة النجوم الرائعة"[93]. وتظهر التناصيّة في قوله هذا في وصفه طول الليلة التي فارق أباه فيها "بالليلة النابغية" التي يصف النابغة الذبياني في إحدى قصائده طولها وهو ينظر الملك عمرو بن الهند، حيث يقول[94]:

كليني لهمٍّ يا أميم ناصبِ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ

العدد210، نيسان 2006م، ص41.

[88] سنوات الصبر والرضا، ص16.

[89] سنوات الصبر والرضا، ص22.

[90] سورة آل عمران، الآية "13".

[91] سنوات الصبر والرضا، ص23.

[92] الشريف الرضي، ديوانه، دار صادر، بيروت، لبنان، 1961م، ص181.

[93] سنوات الصبر والرضا، ص23.

[94] النابغة الذبياني، ديوانه، ط2، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.س)، ص40.

ذلك في قوله: "وسيكون لك حب وصداقات، لكن تلك المرحلة من العمر ستظل حاضرة، مبجلة صورتها على جدران الذاكرة، وتلم بك صورها من حيث تدري ولا تدري"[95]، فيظهر التناص في قوله "من حيث تدري ولا تدري" مع بيت علي بن الجهم[96]:

عُيونُ المَها بَينَ الرُصافَةِ وَالجِسرِ جَلَبنَ الهَوى مِن حَيثُ أَدري وَلا أَدري

وفي قوله أيضًا وهو يصف صعوبة العودة إلى الزمان السالف، فيقول: "وسار الزمان في دربه الجديد مثل حلم تحاول الآن أن تستعيده فلا يظل منه إلا مثل الذي في يد قابض على الماء، خانته فروجُ الأصابع"[97] فيظهر التناص مع بيت شعريّ سارت به الركبان هو:

ومن يأمنِ الدُّنيا يكن مثل قابضٍ على الماء خانته فروج الأصابعِ

وفي قوله: "يا أخي نحن أهل الأردنّ، نحاول مجدًا أو نموت فنعذرا"[98] فيضمن الكركي شطرًا من بيت امرئ القيس المشهور، بطريقة تناصية، حين جعله يجري على لسان أخيه، وكأنه من صلب كلامه، إذ يقول امرؤ القيس[99]:

بَكى صَاحِبي لمَّا رأى الدَّرْبَ دُونه وأيقنَ أنّـــا لاحقانِ بقيْصَرا

فَقُلتُ لَـــــهُ: لا تَبْكِ عَيْنُكَ إنّمَا نــحاوِلُ مُلْكًا أوْ نُموتَ فَنُعْذَرَا

وخلاصة القول: إن التّناص جاء في نص الكركيّ وسيلة من وسائل ترابط النص، ذلك أنه دعم أفكاره، وأكدها، وربطهُ بغيره من النصوص المُغنية للنص، والفاتحة لآفاق كثيرة أمام المتلقي في تلقيه لرسالة النّصّ، فاستطاع الكركي أن يفكك النصوص التي تناصّ معها من الجانب اللغوي، ومن ثم إعادة بنائها بناء لغويًا مغايرًا عن الصورة الأصلية، مع الحفاظ على القيم المضمونية لها، وهو بذلك يزيد من ترابط نصه حين يخال القارئ بأنّه صاحب النص الذي يتناص معه، فيدرجه ضمن سياقات نصه بشكلٍ يجعله وكأنه لبنة أصيلة من بنائه اللغوي، وكل ذلك _لا ريب_ يؤدي وظيفة نصيّة، وترابطيّة بين ثنيات النص المدروس.

خاتمة:

أثبتت الدراسات النَّصِّيّة أنها ما تزال مجالًا بِكْرًا، تحتاج إلى غير قليل من الدراسات الجّادة والرّصينة، تُؤصّل النظريَّة، وتقعّدُ الأصول.

وبالنظر إلى حجم الحضور الكبير للإحالة والربط بالأدوات وعلاقتي التفصيل والسببية ومبدأ التغريض والتناص في ثنايا النص المدروس يدرك الباحث وكذا القارئ أهمية هذه العناصر في انسباك النّصّ قالبًا واحدًا على بياض الورق، ليغدو قطعة جميلة تُذْهِلُ القارئ وتأخذ بتلابيب قلبه. وقد ظهر لنا بعد أن تمت الدراسة عدة نتائج لعلَّ أبرزها:

[95] سنوات الصبر والرضا، ص46.

[96] علي بن الجهم، ديوانه، ط2، تحقيق: خليل مَردم بك، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، 1980م، ص 141.

[97] سنوات الصبر والرضا، ص71.

[98] سنوات الصبر والرضا، ص112.

[99] امرؤ القيس الكِندي، ديوانه، ط4، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1984، ص65-66.

- أنَّ الإحالة تغطي أجزاء النَّصّ كافَّة، فلا يكاد يخلو سطر واحد فيه منها، هي أكثر عناصر الترابط انتشارًا.
- أنّ الإحالة الخارجيّة هي أكثر أنواع الإحالة انتشارًا في النّصّ المدروس مقارنة بالإحالة النَّصِّيّة، التي يعدُّ انتشارها الكبير في النّصّ أمرًا طبيعيًّا.
- أنَّ الإحالة أسهمت _وبشكل كبير_ في تجميع الدلالات المتناثرة في النصّ بما يجعله مُتماسكًا مُحكمًا .
- أنّ الكاتب الكركيَّ جنح إلى استخدام نظام إحاليّ خاصّ ومختلف، إذ كان يحيل فيه إلى نفسه من خلال مخاطبتها بوصفها آخرًا، وذلك بتوجيه الخطاب لنَفْسِهِ بضمير المخاطب الغائب، وقد فتح ذلك أمام القارئ آفاقًا كثيرة في تأويل النَّصّ واستيعابه وتلقيّه.
- أنَّ الإحالة جعلت النصّ مشدودًا، ومترابطًا، وكأنّه نسيج واحد، كما كفت صاحبه مؤونة تكرار المستهلَك والمتكرِّر من القول.
- أنّ الإحالة منحت الكاتب فرصة لِيُلمِّحَ من خلالها إلى الأشياء التي لا يريد ذِكْرها صُراحًا، وذلك من خلال الإحالة المقاميَّة.
- أن الربط بالأدوات على مختلف أشكاله وأنواعه قد زاد من مستوى تماسك النص وتلاحمه، من خلال ربط وحده الدلاليّة بعضها ببعض، وجعلها تنتظم كحبات العقد الواحد.
- إن ترابط العنوان مع النص قد مثّل طرفًا وأنموذجًا للترابط النَّصِّيّ في النص المدروس.
- أن التناص برز عنصرًا من أبرز عناصر الترابط النَّصِّيّ في النص.
- أن أكثر أنواع التناص انتشارًا في النص هو التناصّ مع الشعر العربيّ القديم.
- أن الكركي يقوم على التناصّ مع النصوص بشكل خفيّ، حيث يستعير الجملة القرآنية أو الجملة الشعرية ويوظفها في نصّه بحيث تظل حاملة لذات المعنى الأصلي "الذي تحمله في النَّصِّيّ الأصلي" مختلفة في السياق الذي يضعها الكركي فيه.
- أن علاقة التفصيل، تخلق متواليات تستوفي المعنى، ورسالة النص، وكذا تخلق إيقاعًا نغميًا، مما يسهم ترابط أجزاء النص .
- أن علاقة السببيّة في النص الكركي استطاعت أن تجيب عن سؤال لماذا حدث هذا؟، بحيث غدا البناء النَّصِّيّ لكتاب الكركي، منطقيًا، ومتسلسلًا، ومتناغمًا، ومقبولًا دلاليًّا.

ولا مندوحة من القول: إن الإحالة والتناص وعلاقتَي التفصيل والسببيّة قد أسهمت في ترابط النص، وتكامل رسالته وبنائه، كما فتحت بحضورها الكبير سُبُلًا جديدة أمام الباحث في قراءة النَّصّ على مستوييه الشكليّ والدِلاليّ، إذ تتيح له أن يمتح من بِنى النّصّ أفاويق معرفيّة جديدة تُسهم في تذليل النّصّ للقارئ، وكذا في خَلْقه خَلْقًا آخر.

وبعد... فإنَّ الباحثين ليرجوان أنْ يكون بدراستهما هذه قد تركا الباب موارِبًا لدراسات أخرى تستفيد من السابق، وتضيف إليه، كما وتلتفتُ إلى الأدب السيرذاتي بالدراسة والنظر والرعاية، حيث يزخر ذلكم الأدب بغير قليل من مظاهر النّضج في التجربة الفنيّة، والموضوعيّة، والإبداعيّة.

المصادر والمراجع

آبادي، الفيروز: القاموس المحيط، ط8، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، 2005م.

إدريس، سميرة: التماسك النَّصِّيّ في شعر علي بن الجهم "دراسة نحوية دلالية"، رسالة دكتوراه (مخطوطة)، جامعة القاهرة، مصر، 2012م، المقدمة.

إسماعيل، نائل محمد: الإحالة بالضمائر ودورها في تحقيق الترابط في النَّص القُرآني دراسة وصفية تحليلية، مجلة جامعة الأزهر بغزة، سلسلة العلوم الإنسانية 2011م، المجلد 13، العدد 1 (B).

بودرع، عبد الرحمن: في لسانيات النص وتَحليل الخطاب نَحو قراءَة لسانية في البناء النَّصِّيّ للقُرآن الكَريم، بحث مُقدَّم للمؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القُرآنيّة، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، 2013م.

التوهامي، الزهرة: الإحالة في ضوء لسانيات النص وعلم التفسير من خلال تفسير التحرير والتنوير، رسالة ماجستير(مخطوطة)، المركز الجامعي أكلي محند اولحاج بالبويرة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، 2010م–2012م.

الثنيان، نوال: الإحالة الضميرية في اللغة العربية مقاربة تطبيقية في ضَوْءِ نحو النّص (مقالات خالد المالك في في الحوار والاختلاف إنموذجًا)، بحث مُحكّم نُشر في كتاب دارسات في علم اللغة النَّصِّيّ، مقاربة تطبيقية على مدونة صحيفة الجزيرة، جامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن، الرياض، المملكة العربية السعودية، 2012م.

الجهم، علي: ديوانه، ط2، تحقيق: خليل مَردم بك، منشورات دار الآفاق، بيروت، لبنان، 1980م.

أبو خضر، هاني: أسلوب التفصيل بعد الإجمال وأغراضه في القرآن الكريم، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2012م.

الخطابي، محمد: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، ط1، المركز الثقافي العربي، الرباط، المغرب، 1991م.

دي بو جراند: النص والخطاب والإجراء، ط1، ترجمة : تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 1998م.

الذبياني، النابغة: ديوانه، ط2، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، مصر، (د.س).

الرضي، الشريف: ديوانه، (د.ط)، دار صادر، بيروت، لبنان، 1961م.

الزعبي، باسم وجعفر العقيلي و خالد الجبر، معجم الأدباء الأردنيين في العصر الحديث، ط1، منشورات وزارة الثقافة العربية، مطبعة دار الجمال، عمَّان، 2014م.

الزناد، الأزهر: نسيج النص – بحث فيما يكون يكون الملفوظ به نصًا–، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1993.

السيوطي، جلال الدين (ت911ه): معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، دمشق، سوريا، (د.س).

عبد الراضي، أحمد محمد : نحو النص بين الأصالة والحداثة، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، ط1، 2008م.

عبد المجيد، جميل: البديع بين البلاغة و اللسانيات النَّصِّيّة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1998م.

_____: بلاغة النص "مدخل نظري ودراسة تطبيقية"، دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1999م.

عفيفي، أحمد: الإحالة في نحو النص، دراسة في الدلالة والوظيفة، بحث محكّم نشر في كتاب المؤتمر الثالث للعربية والدراسات النحوية (العربية بين نحو الجملة ونحو النص)، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، مصر، 2005.

العلوي، ابن طباطبا: عيار الشعر، ط2، شرح وتحقيق: عباس عبد الستّار، مراجعة: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2005م.

الفقي، صبحي: علم اللغة النَّصِّيّ بين النظرية والتطبيق، ط1، دار قباء، القاهرة، مصر، 2000م.

الكركي، خالد : سنوات الصبر والرّضا، ط1، المؤسسة العربية للدراسات والنَّشْر، بيروت، لبنان، 1999م.

الكندي، امرؤ القيس، ديوانه، ط4، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1984.

مطلوب، أحمد: معجم المصطلحات البلاغيَّة وتطورها، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، 1987م.

مناع، عادل: سورة هود دراسة في ضوء نحو النّصّ، رسالة ماجتسير(مخطوطة)، جامعة عين شمس، مصر، 2009م.

منظور، جمال الدين: لسان العرب، (د.ط)، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، (د.س).

النوايسة، حكمت: التناص في شعر أبي تمام قصيدة "الحق أبلج" نموذجًا، مجلة أفكار الثقافية، شهرية تصدر عن وزارة الثقافة الأردنية، عمَّان، العدد210، نيسان 2006م.

وهابي، مصطفى : مفهوم التناص عند جوليا كريستيفا، مجلة علامات في النقد، (ت.س).

يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1997م.

المواقع الإلكترونية:

علي، محمد يونس : الإحالة وأثرها في دلالة النّصّ وتماسكه، مدونة تخاطب، ينظر الرابط:

http://takhatub.blogspot.com/2009/06/blog-post_4712.html

3-7-2017م، الساعة: 8:57م